بسم الله الرحمن الرحيم
قسم العلوم الاجتماعية برنامج التاريخ
التعليم عن بعد

حاضر العالم الإسلامي

محاضرة رقم (١٤)

المرجع الأساسى : د.جميل عبد الله محمد المصري

حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة

استاذ المقرر : د. الفاتح الزين شيخ ادريس

المسلمون في أوربا الشرقية - وافريقيا

الحديث عن المسلمين في أوربا الشرقية جزء من الحديث عن المسلمين في ظل الإتحاد السوفييتي ، حيث أن بقية أوربا الشرقية تتبع المعسكر الاشتراكي الشيوعي وتأتمر في معظم أمورها بأوامر موسكو ، وبالتالي فإن الحديث عن سياسة دول شرقي أوربا تجاه الإسلام هو جزء من سياسة الإتحاد السوفييتي تجاهه . تلك السياسة التي تكلمنا عنها .وسنتكلم عن المسلمين في بعض أقطار أوربا الشرقية وسنخص بالذكر : بلغاريا ويوغسلافيا .

أولا : بلغاريا :إحدى دول البلقان ومن دول أوربا الشرقية ، تشرف على البحر الأسود من الناحية الشرقية ، سميت باسم قبائل البلغار التي أسلم كثير منها قبل القرن الرابع الهجري .

وكان لها ملك مسلم اسمه الماس خان . وهو الذي طلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ – ٣٢٠ هـ) إرسال بعثة إسلامية من الفقهاء والعلماء والمهندسين لبناء بلغاريا والنهوض بها ، ووصلت البعثة لبلغاريا وعلى رأسها أحمد ابن فضلان البغدادي وزير المقتدر وتحركت البعثة من بغداد في ١١ صفر ٣٠٩ هـ مارة بهمذان والري ونيسابور ومرو وبخارى . ثم مع نهر جيحون إلى خوارزم إلى بلغار الفولغا في ١٨ المحرم عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م . ولم يعرف خط سير الرجعة لضياع القسم الأخير من الرسالة ، وقد عملت البعثة على نشر الإسلام واللغة العربية ، فنبغ في بلغاريا علماء أجلاء مسلمون منهم : الشيخ أحمد البلغاري أستاذ السلطان محمود الغزنوي ، والشيخ برهان الدين يوسف البلغاري ، والقاضي يعقوب بن نعمان البلغاري وغيرهم أحمد بن فضلان – رسالة – طبع المجمع العلمي العربي بدمشق .

وكانوا يتكلمون العربية ، ويستعملون حروفها في كتاباتهم ، وظلوا على ذلك حتى استيلاء المغول على بغداد سنة ٦٥٦ هـ . فانعزلوا وقل اتصالهم بالعالم الإسلامي ، ثم وصلها العثمانيون واستطاعوا فتحها في زمن مراد الأول وبايزيد ابنه بالتدريج – وامتدت عمليات الفتح من ٧٤٤ إلى ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م ، وعادت جزءا من دار الإسلام وقاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية العثمانية إلى أواسط أوربا لدحر الجيوش الصليبية من الشمال والغرب ، واستمر الحكم العثماني أكثر من خمسة قرون ونصف ، فانتشر الإسلام أثناء ذلك إنتشارا كبيرا .
انفصلت بلغاريا بدسائس الدول الأوروبية عن الدولة العثمانية وإثارة النعرات القومية وكونت بها مملكة قائمة بذاتها سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م . بعد أن هاجر إليها كثير من النصارى ، وهجرها كثير من المسلمين . بتآمر من روسيا والنمسا وبريطانيا .

وفي الحرب العالمية الأولى انضمت لألمانيا في الحرب ، فكانت النتيجة أن تقلصت مساحتها . كما انضمت أيضا لألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، فغزاها الروس وسيطر عليها الشيوعيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فأصبحت ضمن المعسكر الاشتراكي . فقد أقام الجيش الأحمر الأنظمة الشيوعية بزعماء مهاجرين في حين لم يكن للأحزاب الشيوعية وجود تقريبا في تلك البلاد .

تبلغ مساحة بلغاريا ١١٠٩٢٨ كم٢ ، وسكانها حوالي ٩ ملايين نسمة . وهم من العناصر البلغارية الذين يعودون إلى أصول تركية قديمة هاجرت إلى المنطقة وتتحدث لغة السلاف واعتنق أكثرهم النصرانية الأرثوذكسية حوالي عام ٢٥١ هـ . تليهم العناصر التركية حديثة الهجرة مختلطة بعناصر التتار ، وأقليات من الغجر والرومان والأرمن . و٦٠ % من المسلمين أتراك ، و٢٥ % من البلغار وحوالي ١٥ % من الغجر وعاصمتها (صوفيا) .

المسلمون تحت الحكم الأرثوذكسي النصراني :

١٣٢٦ – ١٣٦٢ هـ / ١٩٠٨ – ١٩٤٣ م :

انفصلت بلغاريا عن الدولة العثمانية بفعل الدسائس الأوروبية وإثارة القوميات في البلقان ، وكان المسلمون أكثرية قبل الاستقلال وللسيطرة الصليبية على البلاد تعرض المسلمون للظلم والاضطهاد فهاجر عدد كبير منهم إلى خارج بلغاريا ، وحل محلهم العنصر البلغاري الذي استقدم من البلدان المحيطة ، فقل بذلك عدد المسلمين .

وتعرضوا لحملات التنصير الإجباري وارتد عدد منهم عن الإسلام بالفعل . وبذلت مختلف الجهود لتذويبهم وقطع صلاتهم بماضيهم شأن المستعمرين في بلاد الإسلام . فقد وضع

المسئولون في منتصف القرن الرابع عشر الهجري مشروعا شاملا يهدف إلى تنصير المسلمين بصورة جماعية وذلك بطريق العنف إذا اقتضى الأمر .

وكان للمسلمين مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ومدارس أخرى علمية تقدر بنحو ألف مدرسة ، كما كانت لهم مئات المساجد يؤدون فيها صلواتهم أخذت هذه تقل تدريجيا .

المسلمون تحت الحكم الشيوعي :

دخلت القوات الروسية بلغاريا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي نهاية الحرب كان الشيوعيون قد سيطروا عليها سنة ١٩٤٥ م . وبدأت الشيوعية كالعادة في محاولة لكسب المسلمين إلى جانبها فألغوا قرار التنصير وأعلنوا حرية الاعتقاد ، وبعد أن تمكنوا من حكم البلاد بعثوا مشروع التنصير من جديد وبشكل أكثر عنفا وبربرية فبدأوا بمنع التوجيه والتعليم الديني الإسلامي أو الدعوة له ، ثم نظمت حملات من الكتاب الملحدين والحاقدين على الإسلام للتشويه والتشهير بالإسلام والمسلمين .

لأنه كان دين الخلافة العثمانية التي استعمرتهم حسب ادعاءاتهم الباطلة ، ووصلت بهم الوقاحة إلى إخراج العديد من الأفلام السينمائية التي تصور المسلمين والإسلام في صور كاذبة تقشعر لها الأبدان، وأهملت الأقاليم الإسلامية وأفقرتها لتشيع أن الإسلام هو سبب تأخر هذه المناطق والأقاليم . وبدأت السلطات بمحاصرة هذه الأقاليم منذ سنة ١٩٦٠ م . واشتدت الحملة على الدين – حملة مركزة من الإلحاد الشيوعي لدرجة منع دخول مصاحف القرآن الكريم ، والكتب الدينية . ومنعوا من الاتصال أو الهجرة إلى خارج بلغاريا ، فأصبحوا منعزلين ، وتغلب عليهم طابع الفقر والبؤس ، وتعد مناطقهم من أكثر المناطق تخلفا بالنسبة إلى البلاد. ويا للأسف فقد عرضت هذه الأفلام في كثير من البلاد العربية المسلمة . وحرم المسلمون من المدارس فلم تكلف الحكومة نفسها بإقامة مدرسة ثانوية واحدة في مناطق المسلمين .

وأخذ المسلمون الملتزمون بتعليم أولادهم سرا في البيوت أو إرسالهم إلى أحد العلماء والحفاظ في القرى التي لم تمتد يد السلطة إليها . كما قاوموا هذه الحملات مقاومة قوية وذهب الكثير منهم إلى السجون ومات بعضهم ضحية تحت سياط التعذيب الوحشي .

وأما المساجد – فقد كان في بلغاريا حوالي ١٢٠٠ مسجد . اهتم بها المسلمون بجهودهم الذاتية ، وفي العهد الشيوعي أهملت هذه المساجد وأغلق أكثرها ، فصوفيا مثلا يوجد بها حاليا ثلاثة مساجد حُوّل أحدها إلى متحف والثاني إلى كنيسة ، والثالث مغلق وأزيلت منارته .

وفي محاولة لتفريق المسلمين لتسهل الهجمة الشيوعية عليهم فرقوهم على أساس عرقي قومي ، وفصل كل منهم عن الآخر بإحداث دار إفتاء خاصة به ومن ثم إلغاء منصب المفتي لبعضهم للقضاء عليهم إسلاميا ، فقد قسموا المناطق الإسلامية إلى ست مناطق .

ويمكن تلخيص الوضع الراهن للمسلمين في بلغاريا بما يلي :

- يحرم على المسلمين لبس الزي الإسلامي وخاصة النساء فلا تستطيع المرأة المسلمة أن تشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة بزيها الإسلامي .

- منع المسلمون من الاحتفال بأعيادهم ومن صوم رمضان ومن أداء فريضة الحج . كما منع النحر في عيد الأضحى المبارك .

- منع المسلمون من بناء مساجد جديدة ، ويغلق المسجد الذي يتوفى إمامه . وتتعرض الجماعات التي تزور المساجد المفتوحة إلى المطاردة والعقاب .

- منع المسلمون أن يدفنوا موتاهم في مدافن خاصة بهم ، وألغيت مقابرهم ، وألغيت جميع إجراءات الدفن التي تقوم على الطريقة الإسلامية .

- منع المسلمون من اقتناء المصاحف ومن الهجرة إلى خارج منطقتهم

- منع المسلمون من وظائف المؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من نسبتهم الكبيرة . - أجبر المسلمون على تغيير أسمائهم إلى أسماء بلغارية نصرانية أو يهودية ، وقد بدأت هذه العملية سنة ١٩٦٠ م ولكنها اشتدت في الآونة الأخيرة ، وقد اتبعت السلطات من أجل ذلك الخطوات التالية : أ- يعطى للمسلمين طلبات جاهزة يسجل فيها رب الأسرة اسمه وأسماء أفراد عائلته ، وما يقابلها من أسماء بلغارية التي يختارها لنفسه ولأفراد أسرته من بين قائمة أسماء مرافقة من قبل السلطات الشيوعية . ب- عدم تسجيل المواليد الجدد بأسماء إسلامية .

ج- لا تتم إجراءات الزواج أو تسجيله إلا بأسماء غير إسلامية .

د- لا تعطى شهادات من أي نوع أو هوية إلا بأسماء غير إسلامية .

هـ- لا تصرف مرتبات العمال والأجور إلا بعد تغيير الأسماء .

والسبب في هذه الإجراءات كثرة عدد المسلمين ومحاولة السلطات إخفاء الحقائق وصبغ المسلمين بصبغة غير إسلامية أمام الرأي العام العالمي ، حتى يمكن تذويبهم والقضاء عليهم في الداخل ، حيث أن بعض التقارير تقول أن المسلمين يقارب عددهم نصف السكان في بلغاريا ففي سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م أصدرت السلطات البلغارية قانونا يقضي بتبديل البطاقات الشخصية وعدم ذكر جنسية الأقلية ، بل كتابة البلغارية فقط للجميع مع تبديل الأسماء الإسلامية . وتعرض المسلمون للضرب على أيدي قوات الأمن التي شنت حملة تبديل الأسماء بالتواطؤ مع السلطات البلغارية ولما تقدم المسلمون بعريضة إلى الحزب الشيوعي حيال هذه الإجراءات كان الرد عليهم يجب عليهم مسايرة تطور الديالكتيك الماركسي . ولذلك فمقاومة المسلمين يائسة ، فهم يقادون بالعشرات يوميا إلى السجون ويكابدون أشد أنواع العذاب النفسي والبدني .

وقد أصدرت الرابطة الإسلامية بيانا عام ١٣٩٧ هـ إثر اشتداد هذه الحملة ناشدت فيه الحكومات الإسلامية بأن تسعى لحماية المسلمين في بلغاريا وتدخلت تركيا في هذا الأمر وأعلنت عن استعدادها للاتفاق مع حكومة بلغاريا بشأن هجرة الأشخاص المنحدرين من أصل تركي .

هذا وتقوم السلطات بتصفية الشخصيات الإسلامية القيادية والمقاومة لأساليب الحكم الشيوعي أمثال شاعر المقاومة الإسلامي شاكر رجب الذي اغتالته المخابرات البلغارية عام ١٣٩٦ هـ وقد استمرت السلطات البلغارية في أساليبها فكان من ردود الفعل الإسلامية البيان الذي أذاعه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالأردن وقدمه للسفارة البلغارية سنة ١٤٠٠ هـ فأذاعت على أثره وكالة (صوفيا برتشي) البلغارية تقريرا عن الإسلام والمسلمين ادعت فيه أن المسلمين في بلغاريا يقومون بأداء شعائرهم الدينية بحرية كاملة وطبقا لأصول الدين وقواعد الشريعة .

ثانيا : يوغسلافيا :

جمهورية اتحادية توجد في جنوب وسط أوربا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان ، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك . وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي :جمهورية إتحادية توجد في جنوب وسط أوربا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان ، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك . وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي :

صربيا وعاصمتها بلغراد العاصمة الإتحادية الواقعة على نهر الدانوب . وكرواتيا وعاصمتها زغرب وسكانها من الكروات .

والبوسنة والهرسك وعاصمتها سيراجيفو .ومقدونيا وعاصمتها سكوبيا

وسلوفيتيا وعاصمتها تيتوجراد وهي أصغر الجمهوريات وفيها عدد من الإلبان .ويضاف إلى هذه الجمهوريات إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما :كوسوفا وفوجفورينا ويتبعان جمهورية صربيا

وتضم البلاد أكثر من عشرين قومية يتكلم كل منها لغة خاصة به . وقد ظهرت هذه الجمهورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تسوية ما بعد الحرب باسم مملكة صربيا ، واحتلها الألمان والإيطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية . ثم استقلت بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فيدرالية . وسيطر الشيوعيون على حكمها . ثم اتبعت سياسة عدم الانحياز ومصادقة جميع الكتل السياسية العالمية . وحكمها الرئيس (تيتو) فترة طويلة . وتبلغ مساحة هذه الجمهورية ٢٥٥٨٠٤ كم٢ ، وعدد سكانها عام ١٤٠١ هـ أكثر من ٢٢ مليون نسمة وعاصمتها بلغراد .

وصلها الإسلام بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري ، ولكنه وصلها بشكل كبير مع الفتح العثماني .

فقد بدأ العثمانيون يتقدمون في هذه البلاد سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م إلى عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م حيث فتحوا بلغراد ولما اشتدت حدة الصراع بين المذاهب النصرانية طلب البشناق مذهب البوجوميل أو الكنيسة البشناقية ، ويعارض هذا المذهب المذهب الكاثوليكي والأرثوذكسي على السواء ، فليس فيه تقديس البشر والتعميد ، وذلك بتأثير من الإسلام ، فكان البشناق مهيئين لقبول الإسلام .

تقدم السلطان محمد الفاتح لنجدة البشناق سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م ففتح البلاد وحسم الصراع بين المذاهب النصرانية ، وأصبحت البلاد جزءا من دار الإسلام ، واعتنق البشناق الإسلام زرافات ووحدانا ، طواعية وصاروا من أقوى أنصاره ، وشيدوا المدن ذات الطابع الإسلامي وأشهرها : سيراجيفو أو (بشناق سراي) .

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا ، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا ، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن إدارة البوسنة والهرسك سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م لإمبراطورية النمسا والمجر . في المؤتمر الذي عقد في برلين عام ١٨٧٨ م من الدول الكبرى الأوروبية ثم ضمتها النمسا إلى إمبراطوريتها . وفي

صربيا وعاصمتها سيراجفو كانت شرارة الحرب العالمية الأولى . عندما اغتال طالب (صربي) ولي عهد النمسا (الأرشيدوق فرديناند) وزوجته أثناء زيارته لمدينة سيراجيفو عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٤ م وبعد الحرب العالمية الأولى – ظهرت مملكة صربيا ، ثم ظهرت جمهورية يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية تحت الحكم الشيوعي بعد أن هدم الإتحاد السوفييتي الأنظمة السابقة وأقام دكتاتورية طبقة العمال .

أحوال المسلمين :

تعرض المسلمون لموجات قاسية من الاضطهاد في عهد الحكم النمساوي الصليبي ، وإلى عمليات التنصير . فهاجر العديد منهم فرارا بدينهم إلى تركيا والبلاد الإسلامية الأخرى سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م . وقامت النمسا بتهجير أعداد كبيرة من الكاثوليك النصارى إلى البوسنة ، وتعرضت المساجد إلى الهدم . وثار المسلمون ضد الحكم النمساوي بزعامة رئيسهم علي فهمي جانيش عام ١٣١٨ هـ . وانضم إليهم الأرثوذكس ونجحوا في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية عام ١٣٢٧ وعندما ظهرت دولة الصرب بمساعدة روسيا ، إستبشر المسلمون للتخلص من الاستعمار النمساوي ، ولكن الأرثوذكس غدروا بهم بعد الاستقلال ، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا أراضيهم الزراعية وسلموها للأرثوذكس .واستمروا كالنمسا في أسلوب تهجير المسلمين وإغلاق مدارسهم ومساجدهم .

فقد كان في مدينة بلغراد ٢٧٠ مسجدا والعديد من المدارس الإسلامية و٢٧٠ كتابا (مدارس دينية) زمن الحكم الإسلامي ، فقضي على هذه المدارس وهدمت المساجد لتقام مكانها الفنادق والمسارح بعد انحسار الحكم الإسلامي . والبرلمان اليوغسلافي اليوم على أنقاض مسجد (بتار) وكان أجمل مساجدها بني عام ٨٢٨ هـ / ١٥٢١ م

ومن حركات المقاومة التي نظمها المسلمون : الحزب الإسلامي برئاسة الدكتور محمد سباهو عام ١٣٣٨ هـ . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ، وقعت مذابح بين المسلمين والأرثوذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهة ثانية، ثم تسلم الشيوعيون الحكم بعد الحرب بزعامة (تيتو) وكعادتهم قاموا بمذابح كثيرة ضد المسلمين وبتهديم مساجدهم ، وأغلقت بقايا المدارس الدينية وأبيد ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة ، وقتل عدد من العلماء والزعماء المسلمين .

فقتل فضيلة الشيخ عصمت منقنتيش مفتي كرواتيا ، والعالم الشيخ مصطفى يوصولاجيتش ، وحكم بالأشغال الشاقة على ١٢ عالما بعد محاكمة صورية في مدينة سيراجيفو مددا مختلفة

منهم الشيخ دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك ، والشيخ عبد الله دروبسيوفيتش وكلاهما من علماء الأزهر الشريف .

كما حكمت محكمة إسكوب في مكدونيا سنة ١٩٤٧ م على ١٧ زعيما ألبانيا من الألبانيين المقيمين في يوغسلافيا ، وفي السنة نفسها حكمت محكمة يرشتينا على ٣٧ من الأعيان الإلبانين ثلاثة منهم بالإعدام والباقي بالأشغال الشاقة . وفي عام ١٩٤٩ م وبعد انفصال يوغسلافيا (بزعامة تيتو) عن دول الكومنيفورم حكمت محكمة سيراجيفو على ١٣ زعيما من المنتمين إلى جمعية الشبان المسلمين المنحلة ، أربعة منهم بالإعدام والباقي بالأشغال الشاقة . ونشرت جريدة Novadole الصادرة في سيراجيفو بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٤٦ م قانونا بإلغاء المحاكم الشرعية في يوغسلافيا .

فكانت خطة تيتو أن يقضي على جيل كامل من المسلمين ، ومارست أجهزة الإعلام الشيوعية الدعاية ضد الإسلام . حيث أن تيتو كان قد تتلمذ على اليهودي موسى بيجاده .

وبعد استقرار الأوضاع وهجرات كثير من المسلمين أخذ المسلمون الذين بقوا تحت الحكم الشيوعي يستردون كيانهم بعد سلسلة الإضطهادات التي استمرت حتى عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م . حيث بدأ الإنفراج فاعترفت الدولة بكيانهم في هذا العام وقامت جمهورية إسلامية في البوسنة والهرسك ، شكل المسلمون أغلبها ، وأصبحت لهم حرية التعبد وإقامة المساجد وبناء المدارس وشراء الكتب الإسلامية وكذلك نشرها وأعيدت لهم بعض مساجدهم ومدارسهم .

وفي البلاد اليوم إتحاد إسلامي عام يرأسه كبير العلماء ، وفي عواصم البوسنة والهرسك وصربيا ومقدونيا والجبل الأسود مجالس للعلماء ينظمون شئون المسلمين .

وبدأت المساجد تزداد فوصل عددها إلى ٢٧٠٠ مسجد ، واستردت معظم المساجد التي سلبت منهم أيام الاضطهاد . وهي تنتشر في معظم القرى والمدن ففي إقليم سيراجيفو يوجد ١٠٩٢ مسجدا ، وفي مشيخة بريشتينا ٦٧٠ مسجدا ، وفي سكوبيا ٣٧٢ مسجدا ، وفي مشيخة تيتوجراد ٧٦ مسجدا . والباقي موزع في مناطق أخرى . وتزداد حركة بناء المساجد وأخذ التعليم الديني مكانه في حياة المسلمين ، فيتعلم الطفل المسلم مبادئ الإسلام والقرآن الكريم في الكتاتيب التي بلغ عدد طلابها سنة ١٣٩١ هـ ، ١٢٠ ألف طالب . وليست هناك قيود على التعليم الإسلامي من جانب الدولة في هذه المرحلة . فيضع المسلمون مناهج التعليم الابتدائي .

وهناك عدد من المدارس المتوسطة والثانوية فتوجد مدرسة ثانوية إسلامية في مدينة سيراجيفو ، (مدرسة خسروبك) وثانوية أخرى في مدينة برشتينا .

كما توجد الكلية الإسلامية في سيراجيفو – افتتحت سنة ١٣٩٧ هـ ووضعت مناهجها وفقا لنظم الكليات الإسلامية ، كما افتتح بها قسم للمرأة المسلمة . ولقد ساهمت المملكة العربية السعودية في إقامة هذه الكلية كما ساهمت رابطة العالم الإسلامي وبعض الدول الإسلامية .

وهناك مكتبة الغازي خسروبك في سيراجيفو وهي من أشهر المكتبات الإسلامية وتضم الآلاف من الكتب العربية والتركية والفارسية إلى جانب العديد من المخطوطات .

وهناك ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى بعض اللغات اليوغسلافية عن التركية ، وصدرت ترجمة حديثة عن اللغة العربي هذا ويشكل المسلمون حاليا ٢٠ % من السكان في يوغسلافيا أي أن عددهم أكثر من ٤،٥ مليون نسمة . يكون البشناق نصف عددهم . ثم يليهم الإلبان وعددهم حوالي ١،٥ مليون نسمة معظمهم في إقليم كوسوفا .

وتحاول الحكومة الشيوعية الحالية أن تضع العراقيل أمام المسلمين وذلك : بعدم إتاحة الفرصة لهم للالتحاق بالمناصب الحكومية الإدارية أو الاقتصادية أو الجيش ، ورفع نسبة البطالة بينهم ، وممارسة التمييز العنصري ، ووصف وسائل الإعلام للمسلمين بالتطرف والتعصب والعنف ، دون أن يملك المسلمون وسائل الرد . وقد تزايد عدد المعتقلين المسلمين في السنوات الأخيرة ممن طالبوا بالحرية الخاصة في الشئون الدينية للمسلمين . وخاصة في إقليم كوسوفا الألباني . كما تعرض المسلمون للمذابح في البوسنة والهرسك ولعمليات الاغتصاب التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً على يد القوات الصربية بعد انهيار الوحدة اليوغسلافية عام ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ – ١٩٩٣ م .

الاسلام في افريقيا

قارة أفريقيا ودخول الإسلام

أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العالم . ول شيء يشير إلى أن الإسلام هو دين المستقبل في هذه القارة ، وأنها قارة المستقبل للإسلام .وحاضر القارة يشهد واقعا إسلاميا ملموسا ، تنطق به الحقائق التالية :

١- قرابة ٧٠ % من المجتمع العربي المسلم في أفريقيا .

٢- ٧٥ % من الأراضي العربية الإسلامية في أفريقيا .

٣- أكثر من ٦٠ % من مجموع السكان مسلمون .

٤- تشهد الدعوة الإسلامية صدى وتجاوبا لدى الأفارقة ، وتسير بخطى واسعة . فالأرض والسكان والتاريخ والواقع بكل أبعاده ، كل هذا يعيش حاضره فيها ممتزجا بالإسلام ، لا انفصام عنه . فتستحق عن جدارة تسميتها بلقب : القارة المسلمة .

تبلغ مساحة قارة أفريقيا أكثر من ٣٠ مليون كم٢ . فهي تشكل خمس مساحة الكرة الأرضية ، ومعظمها من ديار الإسلام ، وعدد سكانها حوالي (٥٠٠) مليون نسمة أي حوالي عشر عدد سكان العالم ، الأمر الذي لا يتناسب مع مساحتها الكبيرة.

أ- هضبة شمالية : وتمتد من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر ، ومنها : الصحراء الكبرى ، وبلاد السودان ، وبعض المرتفعات مثل جبال تيبستي والحجارة (الهقار) ، وبعض المنخفضات مثل القطارة والفيوم .

ب- هضبة جنوبية : وهي أكثر ارتفاعا من الهضبة الشمالية . ومن أهم مرتفعاتها : هضبة الحبشة شرقي أفريقيا ، وهضبة البحيرات الكبرى في وسطها ، وجبال كليمنجارو على الحدود بين تانزانيا وكينيا ، وجبال دراكنزبرغ في الجنوب الشرقي .

وتخترق أراضي أفريقيا أنهار كبيرة غزيرة المياه ، منها : نهر النيل أطول أنهار العالم ، ونهر الكونغو ، ونهر النيجر ، ونهر الزامبيزي ، وأورنج ، والسنغال .

والقارة بكر غنية بالعديد من مصادر الرزق :

- فالغابات تغطي ٢٠ % من مساحتها ، وتضم أصنافا من الأخشاب النادرة ، والتي لا تستغل إلا القليل ، حيث تسهم ب ٢ % فقط من انتاج العالم من الأخشاب .

- والمراعي تغطي مسطحات واسعة من أفريقيا ، تتنوع بين السفانا والاستبس مما يتيح الفرص النادرة لمضاعفة الثروة الحيوانية في قارة تعاني المجاعات حاليا .

- والامكانيات الزراعية كثيرة ، غير مستغلة ، نتيجة التخلف ، والطرق البدائية في الزراعة والري .

- وأما المعادن فكثيرة ، وثروتها الباطنة أكثر من الظاهرة ، من المعادن الثمينة النادرة ، ومن الاقاليم المناخية (السفانا : الأعشاب الطويلة . والاستبس : الأعشاب القصيرة .

واسم القارة الحالي حديث ، فكانت تسمى قديما (ليبيا) وكانت مقسمة إلى عدة مناطق رئيسية ، ثم أطلق عليها في العصور الوسطى : (إثيوبيا) أي قارة السود ، وهي مشتقة من اليونانية . ثم استعملت في التعبير عنها كلمة (أفريقيا) وكانت تشير لدى القدماء إلى منطقة تونس ، حيث (رأس أفري) الذي سمي نسبة إلى قبيلة من البربر ، وقد اشتقت الكلمة من تعبير قديم عن (المغارة) أو (الكهف) أيضا ، حيث كان أهل المنطقة يسكنون ما يشبه المغارات ، ثم استخدم العرب هذا المصطلح محورا فصار : (أفريقيا) .

أثيوبيا كلمة يونانية تعني : الوجه المحترق .

وتخصصت ليبيا وأثيوبيا للتعبير عن المنطقتين الجغرافيتين المعروفتين بهذين الاسمين بينما استخدمت كلمة أفريقيا (للتعبير عن القارة جملة) ومن أهم ملامح هذه القارة التي أسهمت في عزلتها في العصور القديمة والوسيطة :

١- يقسمها خط الاستواء إلى قسمين شمالي وجنوبي فتمتاز أفريقيا الاستوائية بغاباتها الكثيفة وشدة حرارتها ورطوبتها دون تمييز بين الفصول .

٢- قصر سواحل القارة بالنسبة لمساحتها – بمعنى آخر قلة تعاريج السواحل . الأمر الذي يؤدي إلى قلة الرؤوس والخلجان ويترتب عليه قلة الموانئ الطبيعية والموانئ في العادة هي المنافذ التي تطل منها القارة على العالم الخارجي ويمد العالم الخارجي بصره منها للقار

٣- امتداد معظم جبالها على السواحل مما يؤدي إلى عزل الداخل ، وإلى ضيق السهول الساحلية ، وضياف إلى ذلك أن هذه السهول الساحلية في جملتها ذات ظهير فقير تؤدي إلى مناطق صحراوية أو شبه صحراوية أو غابات كثيفة يصعب اختراقها . فتزيد من عزلة داخل القارة .

٤- قلة الجزر القريبة من الساحل : والجزر عادة وأشباه الجزر يمكن اتخاذها كمناطق ارتكاز تنفذ إلى الداخل ، وأفريقيا إجمالا كتلة واحدة خالية الأطراف تقريبا وباستثناء بعض الرؤوس الصغيرة التي تفصلها عن بعضها مسافات شاسعة في غرب القارة وبعض الجزر الساحلية في الشرق مثل زنجبار وبمبا ومافيا لا تكاد تلعب هذه المناطق دورا حيويا في تاريخ القارة .

وهذه الظاهرة التي تنفرد بها القارة الأفريقية تعود أساسا لصغر مساحة الجزر الأفريقية نسبيا باستثناء جزيرة مدغشقر التي رغم اتساعها فإنها بعيدة جدا عن الساحل الأفريقي ويلعب تيار موزمبيق دورا في عزلتها عن اليابس .

٥- قلة صلاحية أنهارها للملاحة : رغم كثرة أنهارها وغزارة مياهها كنهر النيل والنيجر والكونغو والزامبيزي والسنغال إلا أن هذه الأنهار تنتهي إلى البحر بدلتات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود أو مساقط مائية . وتكثر فيها الجنادل والشلالات مما يعوق الملاحة ، ويحرم أفريقيا من أن تصبح هذه الأنهار شرايين تؤدي إلى الداخل .

٦- اتساع صحاريها : فمعظم أفريقيا يقع في المناطق المدارية ففي الهضبة الشمالية يمر مدار السرطان و في الجنوبية مدار الجدي . فتتسع الصحارى فهناك الصحراء الكبرى في الشمال التي تصل مساحتها إلى ١٠ ملايين كم٢ أي ثلث مساحة القارة ، وصحراء كلهاري في الجنوب وهذا يؤدي إلى قساوة المناخ وشيوع مناطق الجفاف وإلى العزلة .

دخول الإسلام إلى أفريقيا :

شق الإسلام طريقه إلى هذه القارة سالكا الطرق الجغرافية التالية :

- طريق باب المندب : وعن هذا الطريق انتشر الإسلام في القرن الأفريقي وشرقي أفريقيا ، وكانت معرفة العرب بساحل أفريقيا الشرقية قديمة تعود إلى ما قبل الدعوة الإسلامية بكثير ولا زال الشاطئ الأفريقي يحمل أسماء من الجنوب العربي في مناطق مصوع وعصب وما وراءها في الداخل فقد استقر كثير من المهاجرين والتجار العرب واختلطوا بأهالي البلاد وأدخلوا وسائل الري وأساليب البناء وتنظيم عملية تربية الحيوانات ، وكان الأثر اللغوي أقوى من أي أثر آخر تركه عرب الجنوب في شرق أفريقيا . كما حصلت هجرة مرتدة إلى شبه الجزيرة العربية حيث عبر الأحباش البحر من أكسوم إلى اليمن وأغلبهم كان من المهاجرين العرب الأوائل وقد حاولوا الوصول إلى الحجاز بزعامة أبرهة – عام الفيل ٥٧١ م – وهدم الكعبة في مكة رمز تجمع العرب ، تعصبا لنصرانيته ، وقد عاقبهم الله عقوبة عاجلة كما جاء في سورة الفيل من القرآن

وفي زمن عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ) هاجر بعض الأمويين إلى شرقي أفريقيا وعاشوا بها ، وكان هذا الاستقرار قد حدث بهدوء وبدون قوة أو عنف ، ولا يذكر لنا التاريخ حروبا أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين . وأثر الإسلام في شرقي أفريقيا حتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحلية) وأصبح للعرب إمارات في سواحل القارة الشرقية لها اتصال بالجماعات العربية المسلمة في شبه الجزيرة العربية ، وبالتجار والقبائل في القارة الأفريقية . وتتابعت الهجرات المسلمة إلى (بر الزنج) (كما دعاه المسلمون) فانتشرت أولا في بعض الجزر الساحلية مثل مافيا وزنجبار وبمبا ، ثم في المراكز السياحية الشهيرة مثل : سفالة ، ومالندي ، وكلوا ، وممبسة ، ودار السلام . وقد ازدهرت هذه المدن ، واختلط العرب المسلمون بالأفارقة والشيرازيين (من الفرس) ، حتى جنوب موزمبيق .

وزاد ذلك من ازدهار مدينة مقديشو في الصومال ، وكلوا على الساحل التانزاني ، ومالندي وممباسا في كينيا ، وسوفالا (سفالة) في موزمبيق . وكانت أشهرها جميعا مدينة زنجبار . وقد زار ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي كلوة وممبسة ومقديشو ودهش لما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة في هذه المناطق . ووصف الشوارع المنظمة التي رآها ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة والمونة ، ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المحفورة ، كما كانت للمنازل حدائق غناء ، وشاهد المساجد المزينة بالنقوش . كما وصف إختلاط العرب بالسكان .

وقد أوجد العمانيون مراكز تجارية على طول الساحل الأفريقي الشرقي ثم تحول هذا الوجود إلى وجود سياسي استطاع الأئمة في عمان أن يمدوا سلطانهم على سواحل الصومال وأقاموا فيها إمارت تابعة لهم . وظل سلطانهم قويا في كلوة ومافيا وبمبا وزنجبار حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين بدأت الدول الأوروبية تلتهم أملاك سلطان زنجبار . وكان العمانيون قد صارعوا البرتغاليين ، مدة طويلة ، ووقفوا في وجههم واستمروا يناوئون الأوروبيين من أواخر القرن السادس عشر إلى أن تم انشطار القسم الآسيوي عن القسم الأفريقي ، باستقلال زنجبار عن عمان عام ١٨٦١ م بأساليب الإنجليز الماكرة ، وتحكيم (لورد كاننج) حاكم الهند العام بين الأخوين (ماجد) و (توينى) . فأصبح ماجد يحكم زنجبار ، وتويني يحكم عمان () ، فأصبحت عمان كلها تسير في الفلك البريطاني وذهب ريحها .

- طريق البحر الأحمر : لم يكن البحر الأحمر عقبة كبيرة في وجه الانتقال بين شاطئيه الشرقي والغربي فكان إقليم الحجاز على صلة بالشاطئ الأفريقي قبل الإسلام ، وقويت هذه الصلة بعد ظهور الإسلام كمعبر قريب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج . وقد زادت الأهمية في عهد الحروب الصليبية عندما كانت الموانئ الشمالية مهددة بالغزو فازدهرت من أجل ذلك ، كميناء عيذاب الذي قال عنه ابن جبير :

ورمنا في هذه الطريق (إلى عيذاب) إحصاء القوافل الواردة والصادرة قما تمكن لنا ولا سيما القوافل العيذابية المتحملة لسلع الهند الواصلة إلى اليمن ثم من اليمن إلى عيذاب ، وأكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل ، فلقد خيل لنا لكثرته أنه يوازي التراب قيمة .

٣- طريق سيناء : وسيناء معبر يربط آسيا بأفريقيا وكانت دائما في جميع العصور جزءا متمما لوادي النيل الأدنى وأحد الطريقين الرئيسيين اللذين كانت تأتي منهما الهجرات إلى وادي النيل (والطريق الثاني هو باب المندب وشرق أفريقيا) فعن طريقها دخلت القوات الإسلامية من فلسطين بقيادة عمرو بن العاص ، لتحرر مصر من الجاهلية ، ثم برقة وطرابلس وأفريقيا (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى (المغرب) من النفوذ الروماني وتم كل ذلك في القرن الأول الهجري . وأصبح شمالي أفريقيا بأكمله ضمن ديار الإسلام وقاعدة من قواعده الهامة ، حيث انطلق الإسلام من هذه الأقطار إلى الجنوب عبر الصحراء بالتجارة والدعوة .

- الطرق الداخلية لانتشار الإسلام :

أ- إلى غربي أفريقيا : عن طريق المغرب ، فيقال بأن الأمويين أرسلوا جيشا إلى غانا من جهة مراكش (١١٦ – ١٣٣ هـ) ، و أن قلة من هذا الجيش بقيت وتأثرت بمعتقدات أهل غانة ، وان بقيت محافظة على الامتيازات العنصرية ، ثم وصل الإسلام عن طريق التجار وهجرات العرب والبربر حتى أصبح موجودا في كل قرية وكل مدينة فظهرت دولة غانا الإسلامية في ما يسمى اليوم مالي وموريتانيا وأجزاء أخرى من أفريقيا الغربية – التي وثقت صلاتها بديار الإسلام والخلافة العباسية () . واتسع انتشار الإسلام في غرب أفريقيا على يد المرابطين في القرن الخامس الهجري . ثم قاد الفولانيون والمانديون حركة الإسلام في فوتاجالون فأصبحت إسلامية في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي . وزاد انتشارا بحركة عثمان دان فوديو

ب- بلاد السودان : وسلك الإسلام إليها الطرق التالية :

١- من مصر إلى النوبة إلى البرنو إلى بلاد الهوسا .

٢- من طريق الحبشة إلى اليوروبا والأشانتي .

٣- من شمال أفريقيا عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والغربي .

وقد مثلت منطقة تشاد نقطة اللقاء الإسلامي القادم من المشرق ومن المغرب . وتكونت دول إسلامية شهيرة مثل : دولة البرنو والكانم ، ودولة مالي ، ودولة صنغي والحوصا والفولاني . وكلها ارتبطت بعلاقات قوية مع ديار الإسلام وخاصة مصر والمغرب والأندلس . كما ظهرت فيها حواضر إسلامية كانت مراكز للعلم والثقافة مثل : كانو ، وجني وتمبكتو ، وفلاتة ، وجوبير ، ومالي .

٥- طريق المحيط الهندي : وقد سلكها التجار والدعاة من الجنوب العربي وعمان وفارس والهند – كما وصل الإسلام في الوقت الحاضر إلى شرقي أفريقيا وجنوبها بواسطة المسلمين الهنود والماليزيين والإندونيسيين ، ونشطت الدعوات الخارجة على الإسلام كالدعوة الإسماعيلية والقاديانية في كينيا وتانزانيا وجنوب أفريقيا عن هذه الطريق وعلى الإجمال فقد اتسم تقدم الإسلام في أفريقيا بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة .